

بسم الله الرحمن الرحيم التزكية للمصلحين

|| مركزية التزكية ||

أولاً: مقدمات منهجية:

● المقدمة الأولى:

إن التركيز على الأمور المهارية التي يحتاجها المصلح أكثر من التركيز على المكون الذاتي الداخلي الإيماني للمصلح نفسه له تأثير خطير، فتخرج مصلح يمتلك أدوات إصلاحية خارجية وهو نفسه غير مؤهل للإصلاح قد يؤدي لنتائج عكسية.

● المقدمة الثانية:

الوحي متفاوت من جهة الأهمية، فأعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، وأعظم آية هي آية الكرسي، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن... وهكذا، والفقهاء حقاً هو الذي يفقه ويفهم مركزيات الوحي أولاً، ثم يدرك ترتيبها في الوحي، ثم يتعامل مع الإسلام في ضوء أولويات الشريعة.

ثانيا: الحديث عن مركزية التزكية من جهات:

- الجهة الأولى: مركزية التزكية في القرآن الكريم.
- الجهة الثانية: مركزية التزكية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.
- الجهة الثالثة: مركزية التزكية من جهة آثارها الحسنة.
- الجهة الرابعة: مركزية التزكية من جهة الآثار السيئة المترتبة على تركها.

● الجهة الأولى: مركزية التزكية في القرآن الكريم:

مما يبرز قيمة التزكية في القرآن ومركزيتها:

١- قوله تعالى (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ فَأَقْصِمُ سُبْحَانَهُ أَحَدُ عَشَرَ قِسْمًا ثُمَّ كَانَ جَوَابَ الْقِسْمِ أَنْ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا).^ج

٢- قوله تعالى: (جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى).

٣- قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ونهي النفس عن الهوى = التزكية.

ومركزية التزكية في الوحي تعرف من جهات:

- ١- من النصوص المؤكدة لمركزية التزكية وأهميتها، مثل: القسم في سورة الشمس.
- ٢- من كثرة تكرار ذكر التزكية في كتاب الله والحديث عنها في أغلب السور.
- ٣- من كثرة متعلقاتها وآثارها الحسنة.
- ٤- من كثرة الآثار السيئة المترتبة على تركها.

● الجهة الثانية: مركزية التزكية في حياة النبي ﷺ:

- ١- ذكر الله عز وجل وظائف رسوله ﷺ مختصرة في ثلاثة عناوين، تلاوة آياته، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة، فقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، وقال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

٢- مما يدل على مركزية التزكية في حياته ﷺ أنه كان يخبر أصحابه بخوفه عليهم من بعده أن تهلكهم الدنيا، فقال لهم قبل وفاته بأيام: (فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتَهْلِكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُمْ).

وكان ينبه أصحابه أن إذا نصروا وفتحت عليهم الدنيا من أن تهلكهم، فقال ﷺ: (إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ).

٣- على المستوى التربوي العملي كان ﷺ يبدأ بقضية الإيمان والتزكية، كما في حديث جندب رضي الله عنه قال: "كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِلْمَانًا حَزَازَةً، تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا". فكان صلى الله عليه وسلم يفتح للقرآن القلوب ويهذبها ويملؤها بالخشية والخوف.

٤- المرحلة المكية في حياة النبي ﷺ يمكن أن تختصر في أمران:

الأول: تزكية وتربية الصحابة رضي الله عنهم على قوة اليقين، والصبر، والثبات على الحق، والصبر على الأذى، وأن لا يخافوا في الله لومة لائم.

والثاني: خطاب المشركين ودعوتهم.

وهذه المرحلة كانت ثلاثة عشر عاما، يعني القسم الأكبر من حياته ﷺ كانت في التربية والتزكية، وهذا ليس أمرا هامشيا، فلم يكن ليكون ما كان في المدينة، لولا ما كان من تلك التربية في مكة.

● الجهة الثالثة: مركزية التزكية من جهة آثارها الحسنة:

لها آثار نفسية واجتماعية وإصلاحية، فمن الناحية الذاتية والإصلاحية:

١- **الصبر على المصائب**، فمن الصعب أن يحقق الإنسان أمر الله بالصبر عند المصائب إذا لم يكن عنده تزكية.

٢- أنه إذا كانت التزكية مهيمنة على الإنسان بحيث أنها تنتج ردة الفعل الأولى، فهذا من أعظم ما يجعل المسلم **سائرا في طريق مرضاة الله**، طائعا لله في السراء والضراء.

٣- أنها تبعد عن الإنسان المسلم والمصلح (الأوهام النفسية) التي هي من أمراض القلوب التي تجعله ينسى أنه عبد لله، فالتزكية **تجعله يتواضع ويشكر عند المكتسبات**، ويصبر عند المصائب والنكبات.

٤- **الثبات على الطريق** لا يكون إلا بالتزكية، وخاصة قسم التحلية منها، وخاصة اليقين والصبر.

● الجهة الرابعة: مركزية التزكية من جهة الآثار السيئة المترتبة

على تركها:

آثار تخلفها من الناحية الإصلاحية:

كثير من المشكلات في الواقع الإسلامي هي في الحقيقة - وإن تغلفت بغلافات كثيرة- يكون ضعف التزكية سببا أساسيا فيها، أو مؤثرا فيها، ومن صور هذا الضعف:

١- الحسد بين المصلحين أو العاملين، الذي قد يوصل الإنسان إلى الكفر، وقد قال تعالى عن بني إسرائيل: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا).

٢- التنازع والتفرقة بين العاملين، وقد قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).

٤- انحراف البوصلة، من كونها العمل للإسلام، إلى قطع الطريق يمينا وشمالا بسبب شركاء الطريق.

٥- الفتور أو التوقف والانقطاع، أو الأشد منهما: الحور بعد الكور، يعني الارتداد عن الطريق، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)، وقال ﷺ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَقَاتِلُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ)، تنفرد سالفتي: حتى لو بقيت وحدي.

الخلاصة:

أن موضوع التزكية بشقيها التحلية والتخلية ليس موضوعا هامشيا، ولا موضوعا ثانويا، ولا موضوعا محدود الأثر على النفس فقط، وإنما هو أمر مركزي في صلاحك الذاتي، وأمر مركزي في طريقك الإصلاحي، وأمر مركزي في سيرك إلى الله، وأمر مركزي في الثبات، وأمر مركزي في الصبر على المصائب، وأمر مركزي في صلاح الأحوال وأمر مركزي في تعريفك لنفسك، وأمر مركزي في اتباعك للنبي ﷺ.

فبناء على ذلك كله: لنعد ضبط مركزية التزكية في معاييرنا.

|| معالم التزكية ||

• المعلم الأول: التطهير، (التخلية).

وفيه معالم:

١- **مخالفة الهوى**، بمعنى الحيلولة بين النفس والهوى.
كما قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ)، فَنَعُ
وَكَبَتُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةَ بِالسَّوْءِ، والتي ترغب وتنطلق الى الهوى، ووضع الحواجز
بينها وبين الهوى = التزكية.
ومن مركزية هذا المعلم وأهميته أنه يمكن اختصار التزكية فيه، ولو أزيل لم يعد
هناك معنى التزكية.
وقال الشاطبي في الموافقات: "الْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ إِخْرَاجُ
الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ
اضْطِرَارًا".

٢- **تنقية القلب من أمراض القلوب**، والحيلولة بين القلب وبين أن تتمكن منه
أمراضه:

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ لِلْقُلُوبِ أَمْرًا كَثِيرَةً تَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ
وَالْعَمَلِ، وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِيمَانِ، ومنها:

- **أمراض قلبية متعلقة بالشبهات:**

مثل: الشك، والنفاق، والتقلب، والتعلق بغير الله، والفرار من سماع الحق.

(فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ).

(وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا).

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ).

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ).

- أمراض قلبية متعلقة بالشهوات:

مثل: الحسد، والرياء، والكبر، وحب الدنيا بشكل مجمل، أو واحدة من فتنها.

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ...).

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ).

(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ).

٣- التخلص من المثقلات والمثبطات مما يؤخر الإنسان عن العمل:

ومن صورها ما يدخل في الهوى، ومنها ما يدخل في أمراض القلوب، ومنها ما يدخل في المباحات من حيث الأصل، مثل:

- سماع اللغو، قال تعالى في صفات أهل الفردوس (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ).

- قول الزور والعمل به والجهل، قال ﷺ «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

- فضول الطعام والكلام والنوم (الكسل)، وتعلق الإنسان بالملذات الدنيوية المباحة.

• المعلم الثاني: النماء والزيادة (التحلية).

وفيه معلمان:

١- أعمال القلوب والازدياد منها، وهي قسمين:

- (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) العبادة، ومنها: الإخلاص، المحبة، الخشية، الإنابة.

- (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الاستعانة، ومنها: التوكل، الاعتصام، التفويض.

٢- أعمال الجوارح، وهي نوعين:

- أعمال ترك، مثل: غض البصر وحفظ الفرج، قال تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)، وترك قول الزور والعمل به.

-أعمال فعل: العبادات، وأولها وأهمها وأعظمها الصلاة، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

● العلاقة بين التحلية والتخلية علاقة تأثير وتأثير، ومما يوضح ذلك:

١- قوله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ).
الصلاة: صريحة في النماء والتحلية، تنهى عن الفحشاء والمنكر: صريحة في التطهير والتخلية.

٢- وقوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، فالعمل: تحلية، وتصفية العمل من الرياء والشرك (التخلية) سبب لقبوله.
٣- قوله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ).
فعمل الحسنات: تحلية، يذهبن السيئات: تخلية.

|| وسائل التزكية ||

أولاً: مقدمات منهجية:

● المقدمة الأولى:

التزكية ليست أعمال لها نتائج قطعية، وإنما هي رزق وهبة من الله سبحانه وتعالى والإنسان يبذل أسبابها، قال تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

● المقدمة الثانية:

الطرق التي توصل الإنسان إلى رضا الله سبحانه ليست طرقاً صعبة معقدة تحتاج إلى دراسات فلسفية أو إلى ختم العلوم الشرعية، وإنما الإسلام مع عظمته دين سهل بسيط قريب، والذي يوصل الإنسان إلى المقامات العليا في التزكية وفي الإسلام هو نفس ما يدخله في أصل الإسلام.

● المقدمة الثالثة:

التزكية ليست بطول الزمن، وإنما القضية والتفاوت هو في مقدار انكشاف الحقائق الكبرى للقلب ودرجة تصديقه بهذه الحقائق ودرجة استحضاره لها، فرتبة الإحسان «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، ليس

بمعنى الاعتقاد فقط؛ وإنما هي بمعنى أن توقن بذلك وتداوم على استحضاره، وحديث النبي ﷺ في صفة أهل الغرف «رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»، أي بلغوا تلك المنزلة ليس لاعتقادهم فقط؛ وإنما لدرجة تصديقهم ودوام استحضارهم.

ثانياً: وسائل التزكية:

القسم الأول: الوسائل التزكوية العامة:

• الوسيلة الأولى:

دوام استحضار حقائق الإسلام الكبرى التي لا يصح الإسلام إلا بها.
مثل: حقيقة أن الله هو الإله الحق، وأن الآخرة حق، والبعث حق، واللجنة حق، والنار حق.

• الوسيلة الثانية:

العلم بالله سبحانه وتعالى.
والعلم بالله أشرف العلوم، ولا يوقن بهذا حق اليقين إلا من عاش هذا العلم واقعاً وعملاً.

وأعظم السور والآيات في القرآن هو ما كان متعلقا بالعلم بالله، كسورة الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص، ودوام استحضار أسماء الله وصفاته تفصيلا من أعظم ما يقود إلى التزكية، قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).

• الوسيلة الثالثة:

أن يكون العمل هو الغاية، ووسيلته التزكية والعلم، فالإسلام دين عمل، والتزكية = العمل.

وزكى النبي ﷺ أصحابه ورباهم على أن العمل هو الأساس، وكان يكره كثرة الأسئلة، قال ﷺ «ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»

القسم الثاني: الوسائل المتعلقة بالتطهير والتخلية:

• الوسيلة الأولى: مخالفة الهوى.

تربية النفس على مخالفة الهوى، حتى لو لم يكن محرما، وضبط النفس. قال رجل للنبي ﷺ أوصني، قال: «لا تغضب»، فردد مرارا، قال: «لا تغضب»، ومعناه: ترك ما يؤصل إلى الغضب، وضبط النفس إذا وقع الغضب.

وقال النبي ﷺ «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

• الوسيلة الثانية: دوام التوبة والاستغفار.

فتراكم الذنوب والمعاصي يمنع أن يرزق الإنسان التزكية. وأعلى مقامات الاستغفار هو ما يُستحضر فيه النقص البشري الدائم، ودوام التقصير، وأن العبد ليس على ما ينبغي أن يكون عليه من طاعة الله وعبادته، مع استحضار كمال الله وعظمته.

• الوسيلة الثالثة: المجاهدة.

وتكون المجاهدة لإدامة معنى التربية، وتشمل مجاهدة النفس في تطهيرها، ومجاهدتها في الزيادة والنماء، قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

• الوسيلة الرابعة: التوكل على الله في ترك المعاصي، والتخلص من الذنوب.

القسم الثالث: الوسائل المتعلقة بالزيادة والتحلية:

• الوسيلة الأولى: العناية التامة بأعمال القلوب اهتماما وعملا.

اهتماما: بأن تكون من الأولويات، وعملا: بأن تكون أكثر من الأعمال الظاهرة، وأهم أعمال القلوب: الإخلاص، قال ﷺ «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، وقال «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

• الوسيلة الثانية: الدعاء.

كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها فأنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها».

• الوسيلة الثالثة: الصلاة.

قال تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ^ق.

• الوسيلة الرابعة: التفكير.

فالتفكر في آيات الله من أعظم الأمور التي تزيد اليقين والإيمان، (...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

• الوسيلة الخامسة: الذكر.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)، فللذكر أثر على استجابة الإنسان لأسباب الهداية. ووصف الله المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلا، فكمثرة الذكر من أعظم وسائل التزكية.

|| عَوَائِقُ التَّزْكِيَةِ ||

القسم الأول: مصادر (عوائق التزكية).

القسم الثاني: مضامين (عوائق التزكية) وحلولها.

القسم الأول: مصادر (عوائق التزكية):

العائق الأول: النفس.

الوحي يعرف الإنسان بنفسه، ويعلمه أنه في رحلة جهاد ومكابدة مع نفسه، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)، وقال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) فهذه الآية تثبت أن النفس لها أمر ونهي، وتثبت أن الإنسان يمكن أن يتحكم في هذا الأمر والنهي، وتثبت أن من أهم وسائل هذا التحكم هو الخوف من الله سبحانه، وتثبت أن النفس لها أهواء، كما قال ﷺ «والنفس تمنى وتشتي».

ومن أعظم صور التكليف الإلهي للبشر: هو أن جعل نفوسهم على هذه الأمانى والشهوات، وجعل وسيلة دخول الجنة هي القدرة على منع النفس عن مخالفة أوامره.

العائق الثاني: الشيطان.

الوحي يثبت أن علاقة الشيطان بالإنسان علاقة متصلة من بداية حياته حتى لحظة وفاته، والعداوة أمر مركزي بين الإنسان والشيطان، قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)، (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)، (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

وذكر الوحي أن من وسائل الشيطان: الوسوسة، وخطواته في إغواء بني آدم. ومن خطواته في الوسوسة أنه إذا يئس من العبد في أن يغويه بالكفر أو يغويه بالكبائر أو يغويه بالصغائر، فإنه يتجه إلى التحزين والأذى الداخلي بالوسواس والخواطر، إما عقدية وأما فيما دون ذلك كالطهارة، وعلى قدر ما يترسل العبد معه على قدر ما يزيد في وسوسته وإغوائه.

ولمعالجة هذه الوسواس يجب اتباع الوسائل والحلول الشرعية، وأن يتشبث بها ويستنير بها، كما جاء عن الصحابة أنهم قالوا: يا رسول الله، أرايت أحدنا يحدث نفسه بالشيء الذي لأن يخر من السماء فينقطع أحب إليه من أن يتكلم به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك محض الإيمان».

فليتنبه المصلحون من حيل الشيطان في إقعادهم عن الانطلاق في العمل والإصلاح والتزكية.

العائق الثالث: البيئة.

ذكر الله عز وجل في الوحي في هذا الباب معالم يستفاد منها، فقال فيما يتعلق بالصدق والصداقة في سورة الفرقان: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٠٥﴾ يَوِيلَتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿١٠٦﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا).

فإيجاد البيئة المعينة للمصلح ضروري لتجاوز تحديات البيئة.

العائق الرابع: الأعداء.

الأعداء يحولون بين المسلم وبين الاستقامة على الحق، قال تعالى (وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

ودور الأعداء اليوم في إضعاف التزكية والحيلولة بين المسلم وبين استقامته على دين الله، أكبر من أي وقت مضى، عن طريق بث الشهوات والشبهات.

القسم الثاني: مضامين عوائق التزكية:

أولاً: مضامين عوائق التزكية الصادرة عن المصادر الأربعة السابقة تكون إما:

• **شبهات، وهي أقسام:**

١- **شبهات فكرية وعقدية:** مثل: الإلحاد، الغلو، إنكار الثواب، التأثير بسلطة الثقافة الغالبة...

٢- **شبهات نفسية:** ضعف الثقة، الهشاشة النفسية، سؤال العجز والضعف...

٢- **شبهات منهجية:** سؤال الجدوى، قلق الوجهة...

• **شهوات: وهي:**

١- **شهوات قلبية:** كالكبر والرياء وحب الجاه.

٢- **شهوات جسدية:** كالفواحش وإطلاق البصر.

ثانياً: الوقاية والعلاج من العوائق:

• **الشبهات:**

١- **العقدية والفكرية:**

سبل الوقاية:

١- **معرفة دلائل أصول الإسلام، واليقين والإيمان بها** (الدلائل المثبتة لصحة أصول ما يعتقد المسلم).

٢- العناية بمعرفة الثواب الشرعية (حجية السنة، المنهج الصحيح في طريقة فهم الأحكام والأدلة الشرعية).

٣- البناء الشرعي للتمكن من أصول العلوم الشرعية (القدر الأساسي من العلوم الشرعية).

٤- بناء أبعاديات التعامل مع الإشكالات (أصول الخطأ في الشبهات، وسائل التثبت، التفكير الناقد، ووسائل النقد).

٢- النفسية والمنهجية:

- علاج مشكلة سؤال الجدوى:

١- ضرورة وضوح تعريف الثمرة و النصر والنجاح بالنسبة لكل فرد مسلم، فالإسلام كلف الإنسان بالعمل والثمره والنصر إنما هما من عند الله

٢- فهم مركزية الابتلاء ووضعها في الموضع الصحيح في فهم المسلم، فالاسلام علمنا ان سنه الابتلاء والتمحيص قائمه، وان المصلح قد يصل الى مرحله اليأس،

وعلاج ذلك: الثبات والصبر والتقوى واليقين قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)، (حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ).

وثمره هذين الأمرين: هي ابتغاء وجه الله وحده بالعمل حتى لو لم تحصل الثمرة.

-وسبل الوقاية (للمصلحين) من الشبهات النفسية والاجتماعية:

- ١- معرفة خارطة المشكلات وتاريخها، وعدم اختزال الواقع بنظرة سطحية، لأنها تؤدي الى حلول ناقصة، فيجب قراءة الواقعة قراءة صحيحة متكاملة.
- ٢- ضرورة ادراك انك مسهم في الحل والثرمة (الإصلاح) ولست المتفرد بتقديمها، فيجب التكامل فيما بين المصلحين.
- ٣- ضرورة إدراك الثغور الكبرى المؤثرة في مشكلات الأمة الإسلامية، والثغور الصغرى التي يعمل عليها الفرد، ثم إقامة الجسور بين الثغور الصغرى والثغور الكبرى التي يُعمل عليها.

● الشهوات:

١- شهوات القلب (أمراضها):

مثل: الكبر والرياء وحب الجاه والحسد.
والشهوات القلبية هي المولدة للشهوات الجسدية.

٢- شهوات جسدية:

مثل: إطلاق البصر، والعلاقة المحرمة...

سبل الوقاية (للمصلحين) منهما:

- ١- إدراك أن كثيرا من المشكلات التي تواجه المصلحين اليوم في الواقع هي مشكلات ناتجة عن الشهوات.
 - ٢- معرفة الرب ومعرفة النفس ومعرفة الخلق، وتحقيقها في القلب، فهذا من أعظم مما يقضي على شهوات النفس.
 - ٣- دوام التزكية، ودوام الاستغفار والتوبة.
 - ٤- عدم اسقاط النفس عند الخطأ، فهذا من حيل الشيطان في تثييط المصلحين.
-

|| مؤشرات التزكية ||

المؤشرات التي إذا وجدت في الإنسان فإنها علامة على سيره في الطريق الصحيح في التزكية:

المؤشر الأول:

دوام استحضار مراقبة الله سبحانه، وتذكر لقاءه في الآخرة، وعكسه: الغفلة.

المؤشر الثاني:

التقوى، ومحاذرة الذنوب خاصة في الخلوات وعند الهوى

المؤشر الثالث:

تعظيم شعائر الله وأمره ونهيه، والخوف من مخالفة أمره.

المؤشر الرابع:

نسبة النعم لله، وخاصة وقت الإنجاز والنصر.

المؤشر الخامس:

قبول الحق والانقياد له وعدم بطره وردّه، وعكسه الكبر.

المؤشر السادس:

الخوف والحذر من فقدان نعمة الهداية، ودوام الشكر لله.

المؤشر السابع:

القدرة على من النفس فيما تأمر به من مخالفة أمر الله.

المؤشر الثامن:

محبة المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه، وعكسه: الحسد.

المؤشر التاسع:

استمداد التزكية من المدرسة النبوية، والحذر من خطورة حصرها بشيخ معين،
أو وسيلة معينة.

المؤشر العاشر:

الشعور بلذة الطاعات والعبادات، وحلاوة الإيمان، وقد لا يحصل هذا الأمر
في بدايات التزكية.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها فأنت خير من زكاها أنت وليها

ومولاها

وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين